محاضرة3:
أحمد رضا حوحو

1- المولد والنشأة:

وُلد أحمد رضا حوحو سنة 1911م في الجنوب الجزائري، بمنطقة الزاب، بمدينة سيدي عقبة، التي تحتضن ضريح الصحابي عقبة بن نافع، فاتح إفريقية وباني مسجد القيروان بتونس. وقد نشأ في سياق وطني كانت فيه الجزائر، كسائر مناطقها، ترزح تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، وهو ما ترك أثرًا مبكرًا في وعيه وتكوينه.

تلقّى تعليمه الابتدائي في سيدي عقبة، ثم انتقل إلى مدينة سكيكدة شمال البلاد، وهي مدينة ساحلية كانت تضم آنذاك كثافة أوروبية معتبرة، حيث تابع دراسته الإعدادية باللغة الفرنسية. وبعد حصوله على شهادة «الأهلية» عاد إلى مسقط رأسه، وعمل في إدارة البريد والمواصلات.

سنة 1935 انتقلت أسرته إلى الحجاز، واستقرت في المدينة المنورة، وهناك واصل تعليمه في معهد العلوم الشرعية، فنال شهادة التدريس، ثم اشتغل في مجال التعليم، قبل أن يعمل مرة أخرى في البريد والمواصلات. ومنذ سنة 1937 بدأ نشاطه الأدبي بالنشر في مجلة «الرابطة العربية» التي كان يصدرها أمين سعيد في القاهرة، كما كتب في مجلة «المنهل» الصادرة في مكة، وهي من أعرق المجلات الثقافية في المملكة، ولا تزال تصدر إلى اليوم.

وقد أدّت «المنهل» دورًا محوريًا في تنشيط الحوار الثقافي بين مثقفي السعودية ونظرائهم في مختلف الأقطار العربية، حتى غدت وثيقة حية لذاكرة جيل أواخر الثلاثينيات وبدايات الأربعينيات، ومرجعًا أساسًا لا غنى عنه في تأريخ الأدب السعودي، ولا سيما في مجالي القصة والشعر».[1]

1- مواقفه الفكرية والإصلاحية

- مواجهة الاستعمار الفرنسي، والدعوة إلى الحرية والاستقلال.
- مهاجمة الطرقية، إذ كان يرى في بعض ممارساتها ما يتناقض مع جوهر الدين.
- فتح نافذة على الأدب الفرنسي بصفة خاصة والأدب الغربي بصفة عامة.

شارك حوحو في المؤتمر العالمي للسلام الذي انعقد في باريس سنة 1949، وألقى كلمة عبّر فيها عن معاناة الجزائر تحت الاستعمار، قال فيها: «إن الجزائر تتجرع كل يوم ويلات الحرب بشتى الوسائل برغم تطلعاتها إلى السلام وأنها لا تريد أن ترى دماء أبنائها تسيل منهمرة، لا تريد أن تخضع لليأس، وألا ترى دموع الثكالى ودموع الأيامى ودموع اليتامى، تسيل من أجل تضخيم ثروة الأثرياء، وتوسيع أراضي المستعمرين، (....) ولهذا فإن الجزائر لا تحتج على الحلف الأطلسي فحسب وإنما ترفضه رفضا باتا. إن الجزائر تريد الحرية والسلام لنفسها، فهي تمد يدها لكل من يريد لها (كما يريد لنفسه) أن تعيش حرة آمنة وتموت حرة آمنة»[2]

---

[1]- أنظر: ولد العروسي الطيب، أعلام من الأدب الجزائري الحديث، الجزائر: دار الحكمة للنشر والتوزيع، 2012م، ص 77- 78.
[2]- جريدة البصائر عدد 79 السلسلة 2 ، 1949م.

2- الرحلات وأثرها في تكوين وعيه:

تميّز حوحو بإتقانه اللغتين العربية والفرنسية، واستفاد من أسفاره المتعدّدة إلى مصر حيث التقى عددًا من أدبائها، ثم إلى فرنسا وروسيا، وقد دوّن مشاهداته عن هذه الأخيرة في مجلة "البصائر" ضمن تحقيق مطوّل تجاوز أربع عشرة حلقة، كما زار يوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا.

وقد صدمه التفاوت الواضح بين ما تنعم به تلك الشعوب من حقوق وحريات وما يعانيه شعبه من حرمان، حتى في استغلال ثرواته واستعمال لغته، فازداد تمردًا في مواقفه وكتاباته.

3- عودته إلى الجزائر ونشاطه الإصلاحي

- عاد إلى الجزائر سنة 1945، والتحق بالحركة الإصلاحية التي أسسها عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي، والتي أسست مدارس لتعليم اللغة العربية وأصدرت مجلتي "البصائر" و"الشهاب."
- شارك في الكتابة في "البصائر". وتولّى رئاسة تحرير جريدة "الشعلة" التي صدر منها 49 عددًا.
- عمل بالتدريس في المعهد الإسلامي سنة 1947، ثم أصبح عضوًا إداريًا فيه.
- كتب باللغتين العربية والفرنسية.

كانت لغة مجلة "البصائر" تقليدية تميل إلى التعقيد، وتركز غالبًا على الشعر والموضوعات الدينية المرتبطة بالحلال والحرام، غير أن حوحو تجاوز هذا الإطار إلى تناول الهموم

اليومية للشعب الجزائري بأسلوب سهل في أعماله القصصية والمسرحية، وتمكن من إنشاء خطاب أدبي جديد أسهم في ظهور حركة أدبية قبل الاستقلال وبعده.[1]

4- إنتاجه الأدبي

- الرواية:

بدأ حوحو مسيرته الأدبية في السعودية بعمله الروائي الأول "غادة أم القرى"، الذي يُعد من بواكير الرواية الجزائرية. وقد صدرت الرواية في قسنطينة سنة 1947م. وجمع الناقد والروائي الجزائري واسيني الأعرج بعض أعماله القصصية، ومنها هذه الرواية، في كتاب بعنوان "غادة أم القرى وقصص أخرى". يرى واسيني الأعرج أن الرواية، على الرغم من أهميتها التأسيسية، فإنها لم تستطع تمثيل التناقضات الاجتماعية تمثيلًا معرفيًا عميقًا، لكنها نجحت في أن تكون نواة ميلاد الرواية في الجزائر، وهو ما يمنحها قيمتها التاريخية وجرأتها الريادية.[2]

تناولت الرواية موضوع المرأة العربية في البيئة الحجازية، غير أن أبعادها تتجاوز هذا الإطار لتلامس قضايا المرأة في بيئات عربية أخرى. وقد صدّر حوحو روايته بالإهداء الآتي: «إلى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود، إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة تعزية وسلوى». وقد كتبها خلال إقامته في السعودية بين عامي 1935 و1945. وشكّلت قضية المرأة محورًا استراتيجيًا في مشروعه الأدبي؛ إذ يرى بختي بن عودة أن حوحو أعاد طرح سؤال المرأة بوصفه إشكالًا مؤجلًا في المجتمع الأبوي، وسعى إلى مساءلة تمثيلها داخل البنية الاجتماعية التقليدية.[3]

---

[1]- الطيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري الحديث، ص82-

[2]- أنظر: واسيني الأعرج، غادة أم القرى وقصص أخرى، الجزائر: دار موفم للنشر، 1989م، ص31.

[3]- أنظر: بختي بن عودة، أحمد رضا حوحو معاصرًا لنا: المعنى والمعنى المضاد، دبي: مجلة المنتدى العدد 131، 1984.

- **القصة القصيرة:**

برع حوحو في فن القصة القصيرة، وأسهم في إثراء القصة القصيرة في السعودية، وقد شهد له بذلك عدد من النقاد السعوديين، منهم منصور إبراهيم الحازمي، وبكري شيخ أمين، ومحمود رداوي، وماجد الهاجري، الذين أكدوا ريادته في مرحلة مبكرة من تطور القصة السعودية.

ومن أبرز مجموعاته:

- "صاحبة الوحي" (1954م)، التي تناولت مشكلات الشباب والحب والزواج والعلاقات الاجتماعية، ومن قصصها "القبلة المشؤومة".
- "نماذج بشرية" (1955م)، وهي شهادات حية عن المجتمع الجزائري في تلك الحقبة.

كما أن روايته "غادة أم القرى" وقصته "خولة" في مجموعة "صاحبة الوحي" مستوحاتان من البيئة السعودية.

- **المسرح:**

كتب عددًا من المسرحيات المستوحاة من الأدب الفرنسي والإنجليزي المترجم إلى الفرنسية، ولم يُنشر منها إلا مسرحية "عنبسة". كما توجد مسرحيتان مخطوطتان هما "بائعة الورد" و"البخلاء الثلاثة".[1] وقد جمع أحمد منور مسرحياته في دراسة أكاديمية بعنوان: "مسرح أحمد رضا حوحو: دراسة مقارنة".

[1]- أحمد منور ، "مسرح الفرجة والنضال الجزائري: بحث في مسرح رضا حوحو".الجزائر: دار هومة، 2005م.

- **مؤلفات أخرى:**

- حمار الحكيم قسنطينة سنة 1953م، استوحاه من كتاب توفيق الحكيم بعنوان "حمار الحكيم" وتصور أن حمار توفيق الحكيم زار الجزائر وأن حوحو استقبله بوصفه كاتبا وأديبا وراح يحكي له هموم الشعب الجزائري وهموم مثقفيه بأسلوب ساخر على شكل حوار بين حوحو والحمار وتحدث معه عن الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية التي يعيشها الشعب الجزائري.[1]

- "الأديب الأخير"، وهو عمل ذو بعد فلسفي متأثر بألدوس هيسكلي، ويتناول وضعية الأديب في سنة 2073.
- كتاب "في الأدب والاجتماع" (مخطوط).
- مقالات في جريدة "البصائر" بعناوين مثل: "ما لهم لا ينطقون؟ ما لهم يثرثرون؟".
- كتب شعراً ملحوناً بالعامية الجزائرية، نشر معظمه في مجلة "الشعلة" في باب "تحت السياط نغني".
- كما كوّن فرقة موسيقية مسرحية تُعرف باسم "المزهر القسنطيني".

5- أسلوبه وخصائص كتابته:

تميّز أسلوب أحمد رضا حوحو بالسخرية والنقد اللاذع، ويتضح ذلك في قوله عن الأديب: «إنسان ضعيف يريد أن يعيش بعقل قوي جبار، إنه شخص غريب يستحق العطف والرحمة، ولكن لا يجد في حياته سوى الجحود والحرمان، والآلام والنكران، إلى أن يدركه ربه برحمة الموت فتحمله إلى الأبدية.. تعذب نفس الأديب، وتتطلب شيئا من الترفيه، فلا يرحمها لأن الرحمة تتطلب الكذب على النفس والتمويه عليها، وهو لا يريد أن يغمس

[1]- أنظر: الطيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري، ص 90.

نفسه ويكذب عليها وإنما يصدها ويصدمها بحقائق الحياة مهما كانت مؤلمة».[1] ويقول أبو القاسم سعد الله: «لفت نظري في أدب حوحو ظاهرتان هامتان الأولى السخرية، والثانية براعة الحوار، فالسخرية ظاهرة شائعة في جميع آثاره حتى الجاد منها، يلتجئ إليها للتعبير عن خلجات نفسه وآرائه وشؤون الحياة».[2] كما أعطى مساحة كبيرة لقضية المرأة، وجعلها محورًا إبداعيًا أساسيًا، ساعيًا إلى إعادة الاعتبار لمكانتها في المجتمع.

وفاته:

استشهد رضا حوحو يوم 29 مارس 1955م بقسنطينة اثر انفجار مهول بمقر البوليس الفرنسي في (رحبة الصوف). بعد أن تم تعذيبه قبلها بشهر تعذيبا منكرا. وهكذا جمع حوحو بين الأدب والشهادة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5؛ الجزائر: دار الرائد للكتاب،2007م.
2. أحمد رضا حوحو، جريدة البصائر عدد 6، السلسلة 2، سنة 1947.
3. أحمد منور، "مسرح الفرجة والنضال الجزائري: بحث في مسرح رضا حوحو". الجزائر: دار هومة 2005م.
4. بختي بن عودة، أحمد رضا حوحو معاصرًا لنا: المعنى والمعنى المضاد، دبي: مجلة المنتدى العدد 131، 1984.
5. واسيني الأعرج، غادة أم القرى وقصص أخرى، الجزائر: دار موفم للنشر، 1989م .
6. ولد العروسي الطيب، أعلام من الأدب الجزائري الحديث، الجزائر: دار الحكمة للنشر والتوزيع، 2012م.

[1]- أنظر: أحمد رضا حوحو، جريدة البصائر، العدد 6، السلسلة 2، سنة 1947.

[2]- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الجزائر: دار الرائد للكتاب، 2007م، ص9